من الصعب احيانا فهم ما يجمع بين هؤلاء البشر المختلفين هذا الاختلاف والمتأثريـــن خارجيا وداخليا ، في لحمهم ودمهم بالخاصيات القومية والعنصرية والعرقيـــة للشعوب التي عاشوا وسطها خلال قـرون ٠

من النموذج الكلاسيكي القادم من الثورات الى الرجل المتأصل في اليمن الصحراوية ، حيث البشرة الكامدة اللون والانعكاسات البرونزية ، والعينان السوداوان كحجر اليمان ، الى اليهودي الليتواني ذي العينين الزرقاوين والانف الخانس والشعر الاحمر ٠ مـــن المستحيل التمييز بين يهودي من جورجيا وجيورجي حقيقي ٠ وانا الذي امضيت كل حياتي في الاتحاد السوفياتي لا ازال استغرب حين يعترف لي احد سكان تبليسي او كوتايســي في عارض من الصدق ، بأنه هو ايضا يهودي ٠ لا ازال اجهل ما هو الفرق الخارجي بين يهودي من بوخارا واي مواطن آخر من آسيا الصغرى ، من تادجيك او من اوزبكيستـان مثلا ٠ اليهود الالمان الذين هربوا من هتلر في الثلاثينات ، واسسوا مدينة نهاريه شمالي فلسطين يعيشون حتى الآن في بيئة اجتماعية مغلقة ، معظمهم لا يتقن العبرية بعد ، بـــل يستخدمون اللغة الالمانية ويقدسونها اكثر من الالمان انفسهم ٠ في ديمونا ، جنوبـــــي اسرائيل ، نرى الحسناوات الشرقيات السمراوات البشرة ، يلبسن الساري ذا الالـوان الفاقعة ، وقد رسم على جبهتهن نقطة حمراء ، ووضع على أرنبة الانف ـ وليس في شحمة الاذن ـ ماسة صغيرة جدا ٠ انهن ايضا يهوديات اصلهن من الهند او من باكستان ٠ اما اليهود المغاربة ، فيشبهون العرب ٠

فما هي اذا العلاقة بين بشر على هذا الحد من التباين ؟ لماذا يعتبرون انفسهم يهود طيبين ؟ ويجب الا ننسى ان خمس عدد سكان اسرائيل فقط هو مؤمن ٠ لذلك لا يمكـــن ان يكون الدين هو القاسم المشترك ٠

يؤكد الفيلسوف الفرنسي الوجودي ، جان بول سارتر في كتابه « تأملات حول المسألـة اليهودية » ان اليهود لايشكلون مجتمعا حتى الان الا بفضل الضغوط الخارجيـــة : « ان الرابط الوحيد الذي يحافظ على وحدتهم هو الازدراء العدواني الذي يكنه لهم باقي الشعوب»٠
عدد كبير من الباحثين في اسرائيل وبيـــن يهـود الدياسبورا (المنفى) لايشاركون الفيلسوف الفرنسي رأيه ابدا ٠ يفسرون على طريقتهم الخاصة بقاء هذا الشعب الذي لـم يبد خلال الوف السنين ، بينما لم يبق من الشعوب المزامنة المجاورة الا رماد تاريخي ، واشارات عابرة في المخطوطات ٠ ليس موضوعي التدخل في هذا النقاش بل اريد فقط ان اقدم لكم نتيجة تجربتي وملاحظاتي الشخصية ٠ واعترف بأن جان بول سارتر هو على حق بكل اســـف ٠

نحن مرتبطون ، مضغوطون بعضنا على البعض الاخر ، بفعل احتقار وكره من حولنا ٠ جمعنا الخطر المشترك الذي يهددنا ، واقلعنا عن ارادتنا في الاندماج لنشكل كتلة واحـدة مدموغة بخاتم كاهين وكراهية الذين حولنا ٠ اكتشفنا اننا يهود وحملنا هذا الصليب ، لان كل موقف آخر ، كان مستحيلا ٠

ان الواقع الاسرائيلي ، هذا الخليط المخيف من اللغات ، ومن الناس ، الذين غالبـا ما كانوا في تعارض تام : ما يسمى بالشعب اليهودي ، الذي جمع في وطنه القديم انطلاقا من أجزاء مشتتة ، يشهد أيضا على حقيقة نظرية الفيلسوف الفرنسي الاكيدة ٠

اذا توقفت الدول العربية عن تهديداتها ، وعقدت صلحا مع اسرائيل ، فانني مقتنـــع